

﴿وَيَذَرُوهَا عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ
الْكَذِبِينَ ۝٨ وَالْخَمِيسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ
الصَّادِقِينَ ۝٩﴾ [النور: 8 - 9]

✽ مُنَاسَبَةُ الْآيَتَيْنِ لِمَا قَبْلَهُمَا:

ذكر دفاع المرأة
عن نفسها
وحكمه بعد ذكرك
قذف زوجها لها
وحكمه

لَمَّا كَانَتْ تِلْكَ الْإِيمَانُ الصَّادِرَةُ مِنَ الزَّوْجِ مُقْتَضِيَةً صِدْقَ دَعْوَى
الزَّوْجِ عَلَى الْمَرْأَةِ، كَانَ مِنْ أَثَرِ ذَلِكَ أَنَّ تُعْتَبَرَ الْمَرْأَةُ زَانِيَةً، أَوْ أَنْ
يَكُونَ حَمْلُهَا لَيْسَ مِنْهُ؛ فَهُوَ مِنْ زِنَا؛ لِأَنَّهَا فِي عِصْمَةٍ؛ فَكَانَ ذَلِكَ
مُقْتَضِيًا أَنْ يُقَامَ عَلَيْهَا حَدُّ الزِّنَا، فَلَمْ تُهْمَلِ الشَّرِيعَةُ حَقَّ الْمَرْأَةِ،
وَلَمْ تَجْعَلْهَا مَأْخُذَةً بِإِيمَانٍ قَدْ يَكُونُ حَالِفُهَا كَاذِبًا فِيهَا؛ لِأَنَّهُ يُتَّهَمُ
بِالْكَذِبِ لِتَبَرُّئِهِ نَفْسِهِ، فَجَعَلَ لِلزَّوْجَةِ مُعَارَضَةَ إِيْمَانِ زَوْجِهَا، كَمَا
جَعَلَ لِلْمَشْهُودِ عَلَيْهِ الطَّعْنَ فِي الشَّهَادَةِ بِالتَّجْرِيعِ أَوْ الْمُعَارَضَةِ؛ فَقَالَ
تَعَالَى: ﴿وَيَذَرُوهَا عَنْهَا الْعَذَابَ﴾^(١).

✽ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(1) ﴿وَيَذَرُوهَا﴾: الدَّرءُ: الدَّفْعُ، يُقَالُ: دَرَأَ عَنْهُ الظُّلْمَ، يَذَرُوهُ، دَرَأَ
وَدَرَأَةً: إِذَا دَفَعَهُ وَأَبْعَدَهُ⁽²⁾، وَتَدَارَأَ الْقَوْمُ؛ أَيُّ: تَدَافَعُوا فِي الْخُصُومَةِ
وَنَحْوِهَا وَاخْتَلَفُوا، وَكُلُّ مَنْ دَفَعْتَهُ عَنْكَ فَقَدْ دَرَأْتَهُ⁽³⁾، وَيَأْتِي الدَّرَأُ
بِمَعْنَى الْمَيْلِ وَالْعَوَجِ فِي الْعَصَا وَالْقَنَاةِ وَفِي كُلِّ شَيْءٍ يَصْعُبُ إِقَامَتُهُ،
يُقَالُ: أَقَمْتُ دَرَأَ فُلَانٍ؛ أَيُّ: اعْوَجَجْتَهُ⁽⁴⁾، وَالْمُرَادُ بِالدَّرءِ فِي الْآيَةِ:
الدَّفْعُ بِقُوَّةٍ، وَاسْتَعْيَرَ بِهِ هُنَا لِلْإِبْطَالِ⁽⁵⁾.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 167/18.

(2) ابن فارس، مقاييس اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (درأ).

(3) ابن دريد، جمهرة اللغة، وابن سيده، المحكم: (درأ).

(4) الجوهري، الصحاح، وابن منظور، لسان العرب: (درأ).

(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 167/18.

(2) ﴿الْعَذَابُ﴾: أصلُ الكلمة من العَذَب، وهو: المَنَع، يُقَالُ: عَذَّبْتُ عَنْهُ الماءَ؛ أي: مَنَعْتُهُ عَنْهُ، وَسُمِّيَ الْعَذَابُ عَذَابًا؛ لِأَنَّهُ يَمْنَعُ الشَّخْصَ مِنَ الرُّجُوعِ لِلْجَرِيمَةِ⁽¹⁾، و﴿الْعَذَابُ﴾: الضَّرْبُ بِعَذْبَةِ السَّوْطِ؛ أي: طَرَفِهَا⁽²⁾، وَالْعَذَابُ أَيْضًا: الْأَلَمُ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ أَصْلَهُ الْإِعْذَابُ، مَصْدَرٌ أَعْذَبَ إِذَا أزالَ الْعُدُوبَةَ؛ لِأَنَّ الْعَذَابَ يُزِيلُ حَلَاوَةَ الْعَيْشِ فَصِيغَ مِنْهُ اسْمٌ مَصْدَرٌ بِحَذْفِ الْهَمْزَةِ⁽³⁾، وَالْمُرَادُ بِالْعَذَابِ فِي الْآيَةِ: الْإِيلَامُ وَالْإِجَاعُ الشَّدِيدُ.

(3) ﴿غَضَبٌ﴾: أصلُ الغَضَبِ: الْقُوَّةُ وَالشَّدَّةُ، يُقَالُ: غَضِبَ الْمَطَرُ؛ أي: اشْتَدَّ وَقَوِيَ، وَمِنْهُ الْغَضْبَةُ، وَهِيَ: الصَّخْرَةُ الصَّلْبَةُ⁽⁴⁾، وَالْغَضَبُ عِنْدَ الْمَخْلُوقِ: تَغَيُّرٌ يَحْصُلُ عِنْدَ غَلِيَانِ دَمِ الْقَلْبِ لِيَحْصَلَ عَنْهُ طَلَبُ الْإِنْتِقَامِ، وَسُمِّيَ غَضَبًا؛ لِشِدَّتِهِ عَلَى النَّفْسِ، وَشِدَّةِ صَاحِبِهِ⁽⁵⁾، وَإِذَا وَصَفَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ فَالْمُرَادُ بِهِ الْإِنْتِقَامُ دُونَ غَيْرِهِ⁽⁶⁾، وَالْغَضَبُ أَيْضًا: الْغَيْظُ وَشِدَّةُ السُّخْطِ، يُقَالُ: غَضِبَ عَلَيْهِ، يَغْضَبُ: إِذَا سَخِطَ وَانْتَهَظَ، وَضِدُّهُ: الرِّضَا⁽⁷⁾، وَالْمَقْصُودُ بِالْغَضَبِ فِي الْآيَةِ: انتقامُ اللَّهِ تَعَالَى.

(4) ﴿الصَّادِقِينَ﴾: أصلُ الكلمة يَدُلُّ عَلَى قُوَّةٍ فِي الشَّيْءِ قَوْلًا وَغَيْرُهُ، وَمِنْهُ: الصَّدَقُ، سُمِّيَ بِهِ؛ لِقُوَّتِهِ فِي نَفْسِهِ، وَلِأَنَّ الْكَذِبَ لَا قُوَّةَ لَهُ، وَمَعْنَاهُ: اِعْتِبَارُ الْكَلَامِ صَحِيحًا لَا كَذِبَ فِيهِ، وَهُوَ نِسْبَةُ الصَّدَقِ إِلَى الْمُخْبِرِ بِالِاخْتِيَارِ؛ أي: بِالْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَضِدُّهُ: التَّكْذِيبُ، وَالصَّدِيقُ: الْمُلَازِمُ لِلصَّدَقِ، وَالصَّدَاقُ: صَدَاقُ الْمَرْأَةِ، سُمِّيَ بِذَلِكَ لِقُوَّتِهِ وَأَنَّهُ حَقٌّ يَلْزَمُ⁽⁸⁾، وَالْمُرَادُ بِالصَّادِقِ فِي الْآيَةِ: وَصْفُ الْمُخْبِرِ عَنْهُ بِمَا يُطَابِقُ الْوَاقِعَ.

❁ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيَّةُ:

يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: وَيَدْفَعُ حَدَّ الزَّنا عَنِ الزَّوْجَةِ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ، تَحْلِفُ فِيهَا بِاللَّهِ

(1) التَّوْبِيُّ، تَهْذِيبُ الْأَسْمَاءِ وَاللِّغَاتِ: 10/4.

(2) الرَّاغِبُ، الْمَفْرَدَاتِ: (عَذَب).

(3) ابْنُ عَاشُورٍ، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 1/258.

(4) الْخَلِيلُ، الْعَيْنُ، وَابْنُ فَارِسٍ، مَقَابِيسُ اللُّغَةِ: (غَضَب).

(5) الْجُرْجَانِيُّ، التَّعْرِيفَاتُ، ص: 162.

(6) الرَّاغِبُ، الْمَفْرَدَاتِ: (غَضَب).

(7) ابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانُ الْعَرَبِ، وَالزَّبِيدِيُّ، تَاجُ الْعُرُوسِ: (غَضَب).

(8) ابْنُ فَارِسٍ، مَقَابِيسُ اللُّغَةِ: (صَدَق)، وَالْأَزْهَرِيُّ، تَهْذِيبُ اللُّغَةِ، وَابْنُ مَنْظُورٍ، لِسَانُ الْعَرَبِ: (صَدَق).

لم تهمل
الشريعة حق
المرأة في الدفاع
عن نفسها

فَتَقُولُ: إِنَّ زَوْجَهَا لَمِنَ الْكَاذِبِينَ فِيمَا رَمَاهَا بِهِ مِنَ الزَّانَا⁽¹⁾، وَتَشْهَدُ
الْمَرْأَةُ الشَّهَادَةَ الْخَامِسَةَ، فَتَقُولُ فِيهَا: إِنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنَّ كَانَ
زَوْجُهَا مِنَ الصَّادِقِينَ فِيمَا رَمَاهَا بِهِ مِنَ الزَّانَا⁽²⁾.

❁ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

دلالة الواو في صدر الآية:

جُمْلَةٌ ﴿وَيَذَرُوهَا﴾ عَطْفٌ عَلَى مَا سَبَقَ⁽³⁾، فَبَعْدَ أَنْ بَيَّنَّ اللَّهُ - تَعَالَى
حُكْمَ الزَّوْجِ إِنْ هُوَ رَمَى زَوْجَتَهُ بَيَّنَّ سَبْحَانَهُ مَا يَجِبُ عَلَى الْمَرْأَةِ لِكَي
تُبَرِّئَ نَفْسَهَا مِمَّا رَمَاهَا بِهِ زَوْجَهَا⁽⁴⁾.

بلغة التعبير بالاستعارة في لفظ الدرء:

فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَيَذَرُوهَا عَنْهَا أَلْعَذَابُ﴾ الدَّرءُ: الدَّفْعُ بِقُوَّةٍ،
يُقَالُ: دَرَأَ فُلَانٌ التُّهْمَةَ عَنْ نَفْسِهِ، إِذَا دَفَعَهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَتَبَرَّأَ مِنْهَا⁽⁵⁾
وَاسْتَعِيرَ هُنَا لِلْإِبْطَالِ وَإِزَالَةِ أَثَرِ الشَّيْءِ⁽⁶⁾ مِنْ قَبِيلِ الاسْتِعَارَةِ
التَّصْرِيحِيَّةِ التَّبَعِيَّةِ وَالْمَعْنَى يَسْقُطُ عَنِ الْمَرْأَةِ حَدُّ الزَّانَا بَعْدَ أَنْ تَشْهَدَ
أَيْضًا أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ مُؤَكَّدَاتٍ بِالْقِسْمِ بِاللَّهِ أَنْ زَوْجَهَا مِنَ الْكَاذِبِينَ⁽⁷⁾؛
فَأَبْرَزَتْ هَذِهِ الاسْتِعَارَةَ الْمَعْنَى الْمَعْقُولَ فِي صُورَةِ الْمَحْسُوسِ دَفْعًا
لِلتُّهْمَةِ وَحَسْمًا لِمَادَّتِهَا.

الغرض من تقديم الجار والمجرور ﴿عَنْهَا﴾ على المفعول:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَذَرُوهَا عَنْهَا أَلْعَذَابُ﴾؛ أَيُّ: يَدْفَعُ عَنِ الزَّوْجَةِ
الْحَدَّ⁽⁸⁾، وَفِي تَقْدِيمِ الْجَارِ وَالْمَجْرُورِ ﴿عَنْهَا﴾ هُنَا اِهْتِمَامٌ بِشَأْنِ

تصوير المعقول
في صورة
المحسوس دفعًا
للتهمة وحسمًا
لمادتها

الاهتمام بشأن
هذه الزوجة
للقذوفة
والتشويق
للمؤخر

(1) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 188، والسعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 562.

(2) ابن جرير، جامع البيان: 17/ 188، والواحدي، الوسيط: 3/ 307.

(3) الدرويش، إعراب القرآن الكريم وبيانه: 6/ 566.

(4) طنطاوي، التفسير الوسيط: 10/ 89.

(5) طنطاوي، التفسير الوسيط: 10/ 89.

(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 167.

(7) علوان، الفواتح الإلهية والفتاح الغيبية: 2/ 4.

(8) الثعلبي، الكشف والبيان: 7/ 68.

هذه الزوجة المقذوفة لمدار الحكم عليها وتشويق للمؤخر وهو الحد المدروء عند ثبوت براءتها.

دلالة الألف واللام التعريفية في ﴿الْعَذَابَ﴾ المذكور هنا:

قوله تعالى: ﴿الْعَذَابَ﴾؛ أي: المعهود، وهو الحد الذي أوجبه عليها ما تقدم من شهادة الزوج⁽¹⁾، والألف واللام الداخلان على العذاب لا يُفيدان العموم لأنه لم يجب عليها جميع أنواع العذاب فوجب صرفهما إلى المعهود السابق، والمعهود السابق هو الحد لأنه تعالى ذكر في أول السورة ﴿وَلَيَشْهَدَ عَذَابُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ والمراد منه الحد، وإذا ثبت أن المراد من العذاب في قوله: ﴿وَيَذَرُوهَا بِالْعَذَابِ﴾ هو الحد ثبت أنها لو لم تلاعن لحُدَّتْ، وأنها باللَّعَانِ دفعت الحد⁽²⁾، ولا يصح أن يُراد منها عذاب الآخرة، لأن الزوجة إن كانت كاذبة في لعانها لم يزدها اللعان إلا عذاباً في الآخرة، وإن كانت صادقة فلا عذاب عليها في الآخرة حتى يدرأه اللعان، فتعين أن يُراد به عذاب الدنيا، ولا يصح أن تكون اللام فيه للجنس، لأن لعانها لا يدرأ عنها جميع أنواع العذاب في الدنيا، فتعين أن تكون اللام للعهد⁽³⁾.

والدليل على أن المراد بالعذاب في قوله: ﴿وَيَذَرُوهَا بِالْعَذَابِ﴾، الحد من وجهين:

الأول منهما: سياق الآية، فهو يدل على أن العذاب الذي تدرؤه عنها شهاداتها هو الحد.

والثاني: أنه أطلق اسم العذاب في مواضع آخر، على الحد مع دلالة السياق فيها على أن المراد بالعذاب فيها الحد كقوله تعالى

(1) البقاعي، نظم الدرر: 13 / 218.

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 23 / 332.

(3) السائيس، تفسير آيات الأحكام، ص: 565.

إفادة معنى
الحد المعهود
من سياق الآيات

في هذه السورة الكريمة: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا طَافِقَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾،
فقلوه: ﴿وَلْيَشْهَدْ عَذَابُهُمَا﴾؛ أي: حدّهما بلا نزاع، وكذلك قوله
تعالى في الإماء: ﴿فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ﴾
[النساء: 25]؛ أي: نصف ما على الحرائر من الجلد⁽¹⁾.

نُكْتة تسمية أيمان المرأة شهادة:

قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَيَذَرُهَا عَنِهَا الْعَذَابُ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ
بِاللَّهِ﴾ لَمَّا كَانَتْ أَيْمَانُ الْمَرْأَةِ لِرَدِّ أَيْمَانِ الرَّجُلِ، وَكَانَتْ أَيْمَانُ الرَّجُلِ
بَدَلًا مِّنَ الشَّهَادَةِ وَسُمِّيَتْ شَهَادَةً؛ كَانَتْ أَيْمَانُ الْمَرْأَةِ - لِرَدِّهَا -
يُنَاسِبُ أَنْ تُسَمَّى شَهَادَةً، وَلَئِنَّهَا كَالشَّهَادَةِ الْمُعَارِضَةِ، وَلَكُونُهَا بِمَنْزِلَةِ
الْمُعَارِضَةِ؛ كَانَتْ أَيْمَانُ الْمَرْأَةِ كُلُّهَا عَلَى إِبْطَالِ دَعْوَاهُ، لَا عَلَى إِثْبَاتِ
بِرَاءَتِهَا أَوْ صِدْقِهَا⁽²⁾.

فائدة قوله: ﴿بِاللَّهِ﴾ دون صفة أخرى من صفاته الْعَلِيَّةِ:

قوله تعالى: ﴿بِاللَّهِ﴾؛ أي: مقرونة بهذا الاسم الكريم الأعظم
الموجب لاستحضار جميع صفات الجلال والجمال⁽³⁾، وتكرار ذكر اسم
الله معها في كُلِّ مَرَّةٍ، مِمَّا يُتِيحُ لِلْمَرْأَةِ فُرْصَةً فِي أَنْ تَرَاجِعَ نَفْسَهَا.

دلالة عطف الشَّهادة الخامسة:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْخَمِيسَةَ﴾ بَيَانٌ لِّمَا يَجِبُ عَلَى الزَّوْجَةِ بَعْدَ أَنْ
شَهِدَتْ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ؛ أَيْ: الشَّهَادَةُ الْخَامِسَةُ
بَعْدَ الْأَرْبَعَةِ الْمُتَقَدِّمَةِ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ زَوْجُهَا صَادِقًا
فِيمَا اتَّهَمَهَا بِهِ⁽⁴⁾، وَالشَّهَادَةُ الْخَامِسَةُ لَيْسَ لَهَا مُقَابِلٌ فِي عَدَدِ شُهُودِ
الزَّنا، فَلَعَلَّ حِكْمَةَ زِيَادَةِ هَذِهِ الْيَمِينِ مَعَ الْأَيْمَانِ الْأَرْبَعِ الْقَائِمَةِ مَقَامَ
الشُّهُودِ الْأَرْبَعَةِ: أَنَّهَا لِتَقْوِيَةِ الْأَيْمَانِ الْأَرْبَعِ، بِاسْتِذْكَارِ مَا يَتَرْتَّبُ عَلَى

بيان أنَّ أيمانها
بمنزلة الشَّهادة
للمُعَارِضَةِ الَّتِي
تُبْطِلُ دَعْوَى
الرَّجُلِ

استحضار
التَّعْظِيمِ
وَالرَّهْبَةِ فِي
الْقَلْبِ مِنْ خِلَالِ
تَعْظِيمِ الْمُحْلُوفِ
بِهِ

تقوية الأيمان
الأربع باستِذْكَارِ
ما يترتَّبُ على
أيمانها تغليظًا
لنك الأيمان

(1) السَّنْقِيطِي، أضواء البيان: 6 / 89.

(2) ابن عاشور، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 18 / 167.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 13 / 218.

(4) الراغبي، تفسير الراغبي: 18 / 76، والدُّرَّةُ، تفسير القرآن الكريم وإعراجه وبيانه: 6 / 333.

أَيَّمَانِهَا إِنَّ كَانَتْ غَمُوسًا مِنْ غَضَبِ اللَّهِ عَلَيْهَا فَخَصَّتِ الْمَلَاعِنَةُ بِأَنْ
تُخَمَّسَ بِغَضَبِ اللَّهِ عَلَيْهَا تَغْلِيظًا عَلَيْهَا⁽¹⁾.

سِرُّ تَعَلُّقِ اللَّعْنِ بِالشَّهَادَةِ الْخَامِسَةِ:

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْخَمِيسَةَ﴾ فِيهِ إِفْرَادُ الشَّهَادَةِ الْخَامِسَةِ عَنْهُمْ،
مَعَ كَوْنِهَا شَهَادَةً أَيْضًا؛ لِاسْتِقْلَالِهَا بِالْفَحْوَى، وَوِكَادَتِهَا فِي إِفَادَةِ مَا
يُقَصَّدُ بِالشَّهَادَةِ مِنْ تَحْقِيقِ الْخَبَرِ⁽²⁾.

نَكْتَةُ تَأْنِيثِ ﴿وَالْخَمِيسَةَ﴾:

أَنْتَ اسْمُ الْعَدَدِ ﴿وَالْخَمِيسَةَ﴾ لِأَنَّهُ صِفَةٌ لِمَحْذُوفٍ دَلَّ عَلَيْهِ
قَوْلُهُ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ، وَالتَّقْدِيرُ: وَالشَّهَادَةُ الْخَامِسَةُ⁽³⁾، فَتَزِيدُ فِي
الْخَامِسَةِ، مُؤَكِّدَةً لَذَلِكَ، أَنْ تَدْعُو عَلَى نَفْسِهَا بِالْغَضَبِ⁽⁴⁾.

تَوْجِيهِ الْقِرَاءَاتِ الْوَارِدَةِ فِي ﴿وَالْخَمِيسَةَ﴾ وَبِلَاغَتِهَا:

قَرَأَ فَحَصُّ وَحْدَهُ بِالنَّصَبِ، وَقَرَأَ الْبَاقُونَ بِالرَّفْعِ⁽⁵⁾، وَحِجَّةُ مَنْ
نَصَبَهُ أَنَّهُ نَصَبَهُ عَلَى إِضْمَارِ فَعَلٍ دَلَّ عَلَيْهِ الْكَلَامُ تَقْدِيرُهُ: (وَيَشْهَدُ
الْخَامِسَةَ)، أَيْ الشَّهَادَةَ الْخَامِسَةَ؛ لِأَنَّ الدَّ (شَهَادَةَ) تَدُلُّ عَلَى
(يَشْهَدُ)، وَنَصَبَهُ عَلَى أَنَّهُ مَوْضُوعٌ مَوْضِعَ الْمَصْدَرِ، وَيَجُوزُ نَصَبُ
﴿وَالْخَمِيسَةَ﴾ فِي قِرَاءَةِ مَنْ نَصَبَ ﴿أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ﴾ عَلَى الْعُطْفِ عَلَى
﴿أَرْبَعَ﴾، وَيَجُوزُ نَصَبُ ﴿أَرْبَعَ﴾، ﴿وَالْخَمِيسَةَ﴾ عَلَى أَنَّهُمَا مَوْضُوعَانِ
مَوْضِعَ الْمَصْدَرِ، وَحِجَّةُ مَنْ رَفَعَ أَنَّهُ عُطِفَ عَلَى ﴿أَرْبَعَ﴾ إِنْ كَانَ مِمَّنْ
يَقْرَأُ ﴿أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ﴾ بِالرَّفْعِ، وَإِنْ كَانَ يَقْرَأُ ﴿أَرْبَعَ﴾ بِالنَّصَبِ رَفَعَ
(الْخَامِسَةَ) عَلَى خَبَرِ ابْتِدَاءٍ مَحْذُوفٍ، تَقْدِيرُهُ: (وَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ
الْخَامِسَةُ)، وَيَجُوزُ أَنْ يَحْمِلَهُ عَلَى الْمَعْنَى؛ لِأَنَّ ﴿أَرْبَعَ شَهَدَاتٍ﴾ وَإِنْ

تنوع الأوجه
الإعرابية
يثيري الأحكام
الشرعية

(1) للراغبي، تفسير الراغبي: 76 / 18.

(2) الخطيب، التفسير القرآني: 1225 / 9.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 165 / 18.

(4) السَّعْدِيُّ، تيسير الكريم الرَّحْمَن، ص: 665.

(5) ابن الجزري، النشر: 331 / 2.

نصبته فمعناه الرفع؛ فترتفع (الخامسة) على العطف على معنى ﴿أَرْبَعُ شَهَدَاتٍ﴾⁽¹⁾، فوصل هذه الجملة سواء أكانت اسمية معطوفة على المرفوع قبلها في قراءة الرفع، أم فعلية بفعل مقدر في قراءة النصب يظهر المناسبة التامة بينهما.

سِرُّ اصطفاء الغضب للمرأة بدلاً من اللعنة:

قوله ﷺ: ﴿وَالْخَمْسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ عُنِيَ لها في الخامسة الدعاء بغضبِ الله عليها إِنْ صَدَقَ زَوْجُهَا؛ لَأَنَّهَا أَغْضَبَتْ زَوْجَهَا بِفِعْلِهَا؛ فَنَاسَبَ أَنْ يَكُونَ جَزَاؤُهَا عَلَى ذَلِكَ غَضَبُ رَبِّهَا عَلَيْهَا كَمَا أَغْضَبَتْ بَعْلَهَا⁽²⁾، وَسَبَبُ التَّغْلِيظِ عَلَيْهَا: الْحَثُّ عَلَى اعْتِرَافِهَا بِالْحَقِّ؛ لِمَا يُصَدِّقُ الزَّوْجَ مِنَ الْقَرِينَةِ وَهِيَ تَعْلَمُ صِدْقَهُ فِيمَا رَمَاهَا بِهِ؛ وَالْمَغْضُوبُ عَلَيْهِ هُوَ الَّذِي يَعْلَمُ الْحَقَّ ثُمَّ يَحِيدُ عَنْهُ⁽³⁾؛ وَكَذَلِكَ خُصَّتِ الْمَرْأَةُ بِلَفْظِ الْغَضَبِ؛ لِإِعْظَمِ الذَّنْبِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهَا؛ لِأَنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَانَ كَاذِبًا لَمْ يَصِلْ ذَنْبُهُ إِلَى أَكْثَرِ مِنَ الْقَذْفِ، وَإِنْ كَانَتْ هِيَ كَاذِبَةً فَذَنْبُهَا أَعْظَمُ؛ لِأَجْلِ مَا فِي الزَّنا مِنَ التَّحْرِيمِ وَلِمَا فِيهِ مِنَ تَلَوِثِ الْفِرَاشِ، وَالتَّعَرُّضِ لِلْحَاقِ مَنْ لَيْسَ مِنَ الزَّوْجِ بِهِ؛ فَتَنْتَشِرُ الْمَحْرَمِيَّةُ، وَتَثْبُتِ الْوَلَايَةُ وَالْمِيرَاثُ لِمَنْ لَا يَسْتَحِقُّهُمَا⁽⁴⁾.

ولهذا كان للزوج إذا قذف امرأته ولم يأت بأربعة شهداء أن يلاعنها؛ لِمَا لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحَقِّ، وَلِأَنَّهُ مَظْلُومٌ إِذَا كَانَ صَادِقًا، وَعَلَيْهِ فِي زَنَاها مِنَ الضَّرَرِ مَا يَحْتَاجُ إِلَى دَفْعِهِ بِمَا شَرَعَهُ اللَّهُ، كَالْمَقْذُوفِ الَّذِي لَهُ أَنْ يَسْتَوْفِيَ حَدَّ الْقَذْفِ مِنَ الْقَاذِفِ الَّذِي ظَلَمَهُ فِي عَرَضِهِ، فَكَذَلِكَ الزَّوْجُ لَهُ أَنْ يَسْتَوْفِيَ حَدَّ الْفَاحِشَةِ مِنَ الْبَغِيِّ الظَّالِمَةِ لَهُ، الْمُعْتَدِيَةِ عَلَيْهِ؛ فَلهذا كان له أَنْ يَقْذِفَهَا ابْتِدَاءً، وَقَدْفُهَا إِمَّا

التَّخْوِيفُ مِنَ
غَضَبِ الْجَبَّارِ



(1) مكي، الكشف: 2/ 135.

(2) تقدّم تفصيل هذا النوع من العطف في الآية السابقة.

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 6/ 15.

(4) ابن حجر، فتح الباري: 9/ 440.

مباحٌ له، وإِما واجبٌ عليه إذا احتاج إليه لنفي النَّسَبِ، ويضطرُّها بذلك إلى أحدِ أمرين: إِمَّا أَنْ تَعْتَرَفَ فَيُقَامَ عليها الحَدُّ، فيكونَ قد استوفى حَقَّه، وتطَهَّرت هي أيضًا من الجزاءِ لها والنَّكَالِ في الآخرةِ بما حصل، وإِما أَنْ تَبَوَّءَ بغَضَبِ اللَّهِ عليها وعقابه في الآخرةِ الذي هو أعظمُ من عقابِ الدُّنيا؛ فَإِنَّ الزَّوْجَ مَظْلُومٌ معها، والمَظْلُومُ له استيفاءُ حَقِّه؛ إِمَّا في الدنيا، وإِما في الآخرةِ، قال الله تعالى: ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ [النساء: 148] (1).

واختير لفظ الغضب دون اللعن أيضًا لأنَّ النساءَ كثيرًا ما يَسْتَعْمِلْنَ اللَّعْنَ، فربَّما يَجْتَرِئْنَ على التَّفَوُّه به؛ لِسُقُوطِ وَقْعِهِ عن قُلُوبِهِنَّ، بخِلافِ غَضَبِهِ تعالى (2).

القراءات الواردة في ﴿أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾ وبلاغتها:

قرأ نافع بتخفيف نون ﴿أَنَّ﴾، وبكسر الضاد ﴿غَضِبُ﴾: فعل ماضٍ، وبرفع الهاء من الاسم الأجل: ﴿اللَّهُ﴾ على أنه فاعل، وخرَّجت قراءته على جعل ﴿أَنَّ﴾ مخففة من الثقيلة، والتَّحْقِيقُ أَنْ تُجْعَلَ ﴿أَنَّ﴾ على هذه القراءة تفسيريةً؛ لأنَّ الخامسة يمينٌ: ففيها معنى القول دون حروفه فيناسبها التفسير، ووجه قراءة نافع: أن ذلك قد جاء في الدِّعاء، ولفظه لفظ الخبر.

وقرأ يعقوب بتخفيف نون ﴿أَنَّ﴾، وبفتح الضاد وضم الباء ﴿غَضِبُ﴾ وبخفص الهاء من الاسم الأجل: ﴿اللَّهُ﴾، و﴿غَضِبُ﴾ اسمٌ وليس فعلاً على هذه القراءة، وهو مضاف، والاسم الأجل: ﴿اللَّهُ﴾ مضاف إليه، على معنى: (أَنَّهُ غَضِبَ اللَّهُ عليها)، فـ: ﴿أَنَّ﴾ هي المخففة من الثقيلة، واسمها ضمير الشأن واجب الحذف، و﴿غَضِبُ﴾ مبتدأ مرفوع، وقرأ الباقون: ﴿أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا﴾

التنوع بين
الأسماء
والأفعال يثري
ظلال المعاني

(1) ابن تيمية، جامع الرسائل: 2/ 387 - 389.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 6/ 159.

بتشديد نون ﴿أَنَّ﴾ ونصب ﴿غَضَبَ﴾، ويتعين على هذه القراءة أن تقدّر باء الجرّ داخلة على ﴿أَنَّ﴾ متعلقة بالخامسة؛ لأنها صفة لموصوف تقديره: (والشهادة الخامسة)، ليتجه فتح همزة ﴿أَنَّ﴾ فيهما، والمعنى: (أن يشهد الرجل أو تشهد المرأة بأن غضب الله)، أي: بما يطابق هذه الجملة⁽¹⁾، وهذا التنوع البديع في التراكيب النحوية لهذه القراءات أثرى المعاني إثراءً بالغاً، لا سيما أنها تناولت حكماً شرعياً عظيماً من أحكام الميثاق الغليظ: الزواج.

سِرُّ تكرار حذف جواب جملة الشرط:

قال تعالى: ﴿إِنْ كَانَ مِنَ الصّٰدِقِیْنَ﴾ شَرْطٌ مُّسْتَعْنٍ عن الجزاء بما مضى؛ فجواب الشرط محذوف دلّ عليه ما قبله؛ أي: فالغضب عليها إن كان من الصادقين⁽²⁾، وحُذف إيجازاً واختصاراً، والإيجاز باب من أبواب البلاغة.

❁ الفروق المُعْجَمِيَّة:

العَذَابُ وَالْعِقَابُ:

العِقَابُ والعَذَابُ يَرِدَانِ مراداً بهما النُّكَالُ، ومجازاةُ الذَّنْبِ بِمِثْلِهِ، ويفترِقَانِ مِنْ وَجْهَيْنِ:
أحدهما: أَنَّ الْأَصْلَ الدَّلَالِيَّ لـ (العَذَابِ) يدلُّ على الضَّرْبِ، وَالْأَصْلَ الدَّلَالِيَّ لـ (العِقَابِ) دالٌّ على الشَّدَّةِ، وتَأخُّرُ شَيْءٍ وَإِتْيَانِهِ بَعْدَ غَيْرِهِ.
ثانيهما: أَنَّ الْعِقَابَ يُنْبِئُ عَنِ الْإِسْتِحْقَاقِ؛ لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَقِبَ ذَنْبٍ، بخلافِ الْعَذَابِ؛ فَإِنَّهُ أَعَمُّ، فَقَدْ يَقَعُ عَلَى مَنْ يَسْتَحِقُّهُ وَمَنْ لَا يَسْتَحِقُّهُ⁽³⁾.

الاستغناء عن
الجواب والجزاء
بما مضى

العذاب يدل
على الضرب
والعقاب يُنبئ
عن الشدة

(1) ابن الجزري، النشر: 2/ 330، ومكي، الكشف: 2/ 134، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 18/ 166، وخواجة الأنصاري، كشف الأسرار: 6/ 488.

(2) الخراط، اللجئتي: 2/ 789.

(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 239 - 240، ومحمد داود، معجم الفروق الدلالية، ص: 341 - 343.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السادس والثلاثون،
سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1446هـ - 2024م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38

[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-

الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 36، 808 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-732-79-2

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 36: المجلد السادس والثلاثون، سورة المؤمنون من الآية 64 إلى سورة النور الآية 38.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-

ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).

قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-78-5

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-8956803 بتاريخ 2024/11/26م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري

الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»